بدآءة القرن العشرين

استطار الجدال في هذه الايام بين خاصّة النـاس وعامّتهم في تعيين بدآءة القرن العشرين هل تكون من اول سنة ١٩٠٠ الحاليّة او سنة ١٩٠١ الآتية . وقد خاضت في هذا البحث جرائد اوربا ومجلاتهـا ودخلت فيهِ مجالس الدول حتى جآء اخيراً ان مجلس المانيا الاعلى قرّر ان بدآءة القرن تكون في اول يناير من هذه السنة اي سنة ١٩٠٠ وهو غريب

وقد وقفنا على مناقشةٍ في هـذا المعنى بين المسيو كاميل فلامريون الفلكي المشهور والمسيو موريس دونان على اثر مقالةٍ نشرها المسيو فلامريون في مجلة المجلات الفرنسوية اثبت فيها ان القرن العشرين يبدأ من سنة ١٩٠١ لا سنة ١٩٠٠ بنآءً على ان العدد يبدأ من الواحد لا من الصفر والا لزم ان يكون قد افتُتح التـاريخ بسنةٍ يكون عددها صفراً وهو ما لا يُعهد في شيءٍ من المعدودات وان كلاً من عددي العشرة والمئة يكون تمةً لما قبلهُ لا مبدأً لما بعدهُ والاّ لم تكن العشرة عشرةً ولا المئة مئةً

قال وليست هذه بأول مرةٍ وقع فيها الخلاف في تعيين بدآءة القرن فقد كان مثل ذلك سنة ١٧٩٩ و ١٦٩٩ و ١٥٩٩ وقد نشب في آخر القرن الغابر جدالٌ عنيف في هذه المسئلة وصل الى ملعب التمثيل فمُثّلت فيهِ روايةٌ عنوانها « في اي قرنٍ نحن » ولا بدع ان يكرر هذا العنوان في السنة القابلة (١٩٠٠) فنقول « في اي زمنٍ نحن » على اني احقق انّا لسنا بعد في زمن الرشد الا ان ما ذكرنا من مباحث القرن الماضي لم يكن ليجلو الحقيقة جلآءً

يقطع الريب فان ڤكتور هوغو مثلاً ولد في ٢٦ فبراير سنة ١٨٠٢ ولم يكن للقرن اذ ذاك الا ثلاثة عشر شهراً وخمسة وعشرون يوماً وساعات . ولست اخال انهُ اذا كان مولودٌ بهذه السنّ يقال انهُ ابن سنتين ومع ذلك فان هذا الشاعر لما اشار الى تأريخ مولدهِ ذكر انهُ يوم وُلد كان عمر القرن سنتين وهذا يدل على انهُ كان يعتقد ان القرن ابتدأ سنة ١٨٠٠ وما ادري لعل الشعرآء يحسبون على خلاف ما يحسب الفلكيون . وعلى مثل هذا درج المسيو هراديا من رجال الندوة العلمية الفرنسوية في هذا الاوان فانهُ لما أرّخ الجسر المبنيّ على اسم اسكندر الثالث والذي في العزم الاحتفال بهِ سنة ١٩٠٠ عبّر عن السنة المذكورة بانها فجر القرن العشرين

ثم ذكر ان بين يديهِ خمس رسائل في البحث عن رأس القرن الثامن عشر قد طُبعت في باريز سنة ١٦٩٩ جآء في جملتها ادلةٌ من نصوص التوارة ومن كلام آبآء الكنيسة وقواعد الدين المسيحي وطوفان نوح وغير ذلك مع الاستظهار برسوم هندسية يُستَدلّ بها على التمييز بين السنين وكيفية عدّها . وذكر ان مباحثةً في مثل ذلك جرت سنة ١٥٩٩ بحضرة البابا فلم يقطع في هذه المسئلة بقول ولكن ردّها الى رأي علمآء الهيئة . قال وعلم الهيئة لم يتغير وكذلك قواعد الحساب لا تزال اليوم كما كانت اذ ذاك ثم افاض من البراهين بما لا يعدو ما ذكرناهُ

والامر ظاهرٌ كما تراهُ لا يحتمل مناقشةً ولا جدالاً ولكن المسيو دونان ابى الا ان يثبت ان في السنين سنةً تُعَدّ بالصفر قياساً لها على سائر المقادير من المُدَد والمسافات بزعمهِ وذلك كخطوط الدَرَج على الكرة ورسوم

الساعات على الميناء والكيلومترات في الطرق فان كل ذلك يُبدأ العدد الاول منهُ بالصفر ولا يصار الى رقم الواحد الا بعد ان تمرّ المسافة التي بينهُ وبين الصفر. قال فالسنة الاولى اذن هي التي مرّت من بدء حساب التاريخ اي من يوم ميلاد المسيح الا ان الاشهر الاولى من ذلك اليوم مرّت الى الشهر الحادي عشر ولم يُنطق بسنة احدى الاعند ما تمّت الاثنا عشر شهراً . والسنة الثانية ابتدأت من اول يناير سنة احدى وتمت في اول يناير سنة اثنتين وكذلك سنة احدى بعد الالف والتسع مئة تبدأ من اول يناير سنة ١٩٠٠ وتتم في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ لكن من البين ان الالف والتسع مئة سنة يكون تمامها بتاريخ اول يناير ١٩٠٠ . انتهى كلامهُ تحصيلاً وفيهِ من الاضطراب ما لا يخفى وحاصل ما يؤخذ منهُ ان اعداد السنين عندهُ تتأخر عن معدوداتها فهو يسمي السنة الثانية سنة احدى والسنة الثالثة سنة اثنتين وهلمَّ جرًّا كما يتبين من تحديدهِ ابتداء السنة الثانية وانتهاءها . وعلى ذلك فاذا أرّخنا بشهر يناير مثلاً من سنة احدى كان ذلك في الشهر الثالث عشر بعد بدء التاريخ لا في الشهر الاول لان سنة احدى لا تبدأ عندهُ الا بعد تمام الشهر الثاني عشر وكذا ما يلي من السنين الى سنة ١٩٠٠ فان شهر يناير منها وهو الذي نحن فيهِ يكون مبدأ سنة ١٩٠١ لا سنة ١٩٠٠ وبهذا الاعتبار نكون اليوم في رأس القرن العشرين

وما نرى الا ان في الامر سبق فكر اوقعهُ فيهِ قياس السنين على ما ذكر من درجات الكرة وما يليها ولو احسن اعتبار الامر لظهر لهُ ان مدلول الواحد في الخطوط التي على الكرة هو جميع الفسحة التي بين الصفر ورقم

الواحد فما بلي الصفر منها هو من اجزآء الواحد لا من اجزآء الصفر وكذا ما بين الواحد والاثنين وهلمَّ جرًّا الى رقم ١٨٠ فان ما قبلهُ من الاجزآء هو للرقم نفسهِ لا لرقم ١٧٩ والا لزم ان نبدأ العدد بالصفر ونختمهُ برقم ١٧٩ واصبح رقم ١٨٠ لغواً وهو مخالفٌ للطبع والوضع . ومعلومٌ ان خط الصفر على الكرة ليس بشيء ولا دخل لهُ في قياس الدرج وانما وُضع بين درجات الطول للفصل بين الدرجة الاولى منها شرقاً ومثلها غرباً وبين درجات العرض للفصل بين الدرجة الاولى شمالاً ومثلها جنوباً فهو دليل على ان لا عدد هناك اذ ليس قبل الواحد شيء ولذلك استُغني عن الصفر في المتر مثلاً لعدم الحاجة الى الفصل المذكورِ كما هو ظاهر . وانما جُعل عدد كل درجةٍ عند آخرها لا عند اولها كما نعتبرهُ في حساب السنين لان المقصود في عدد الدرجات ادخال كل ما قبل العدد في قياس المسافة التي يراد تعيينها فاذا قيل ان موضع كذا على ٥ درجات من الطول الشرقي مثلاً كان المراد ان المسافة التي بين موقعهِ والصفر خمس درجاتٍ كاملة فلو وُضع رقم الخمسة على اول الدرجة كان هناك اربع درجات لا خمس . وبخلافهِ ما اذا قلنا كان حادث كذا في اليوم الخامس من شهر مارس مثلاً سنة كذا فان المراد هناك يومٌ معيَّن من شهرٍ معين من السنة المذكورة لا مجموع الايام من ذلك اليوم الى اول السنة ولا مجموع السنين التي مرّت من اول التأريخ ولذلك لزم ان نعين عدد السنة من اولها حتى تكون مستقلةً بنفسها ويكون كل يومٍ من ايامها مقيداً بها وداخلاً ضمنها . ولا يلزم من اطلاق عدد السنة ان تكون السنة قد تمت كما لا يلزم من اطلاق اسم الشهر ان يكون الشهر قد انتهى فاننا نؤرخ باول يناير مثلاً مع ان شهر

يناير لا يكون قد جآء منهُ الا يومٌ واحد ونقول كان ذلك في اول الشهر الثالث او الخامس ولا يُفهم من ذلك الا اننا نريد شهر مارس او شهر مايو لا الشهر الذي يليهِ والا لزم ان نجري على هذا الاعتبار في القرن ايضاً فيكون القرن الاول هو الذي بدأ بعد انقضآء المئة الاولى ثم هلمَّ جرًّا الى القرن العشرين نفسهِ فلا نطلق عليهِ لفظ العشرين الا بعد تمامهِ اي بعد انتهآء سنة ٢٠٠٠

اذا تقرر ذلك كلهُ ثبت منهُ ان سنة احدى من التاريخ المسيحي هي السنة الاولى لا الثانية ومبدأها من اول يناير الذي هو مفتتح ايامها لا من اول يناير الذي جآء بعد تمامها وان سنة اثنتين هي السنة الثانية بعينها لا الثالثة واول يناير الذي بُدئت بهِ هو من سنة اثنتين لا من سنة احدى وكذا سنة ١٩٠٠ هي السنة الالف والتسع مئة بعينها وهي تمة القرن التاسع عشر لا فاتحة القرن العشرين ولكن القرن العشرين يبدأ في اول يناير من سنة ١٩٠١ الآتية

على انهُ كيفما كان ذلك فهو امرٌ اعتباريٌّ فقط لا يغيّر شيئاً من التاريخ ولا اثر لهُ في دفاتر التجارة ولا سجلّات الاحكام ولا آجال الديون والمعاهدات فسوآء كانت هذه السنة ختام القرن التاسع عشر او فاتحة العشرين فانها لا تزال سنة ١٩٠٠ ولا يزال موقعها بين سنتي ١٨٩٩ و ١٩٠١ وانما اوردنا هذا الفصل اجابةً لبعض قرآئنا الادبآء في الاستفهام عن حقيقة هذه المسئلة ولا سيما انهم رأوا بعض جرائدنا قد صرّحت بكون هذه السنة هي رأس القرن العشرين وبنى بعضها عليهِ المقالات المطوّلة فرحّب بالقرن

القادم وعلّق عليهِ الرغائب والآمال وودّع القرن الراحل وعدّد مالهُ من محاسن الآثار ومساوئ الاعمال وهي انما فعلت ذلك تقليداً للقائلين بهِ لا عن بيّنةٍ ولا نتيجة بحث مع انا لو رددنا كل واحدةٍ من تلك الجرائد الى الاعداد التي اصدرتها في اول سنةٍ من ظهورها لوجدت انها قد اثبتت في عنوان كل عددٍ منها « السنة الاولى » لاسنة الصفر وعلى هذا درجت في السنين التالية فلم تجعل سنتها الخامسة رابعة ولا العاشرة تاسعة ولكن الظاهر انهُ قد بهرها صدور الحكم في ذلك من مجلس برلين الاعلى ... فتلقتهُ بالتسليم من غير توقفٍ ولا ارتياب. وقد رُوي عن اقليدس الرياضي الشهير انهُ حين كان يلقن احد البطالسة مبادئ علم الهندسة وجد في فهمها صعوبةً فقال لهُ اليس من طريقٍ اسهل الى تعلم هذا الفنّ فقال ليس الى ذلك من طريقٍ للملوك يعني ان المسائل العلمية لاتحابي مقام الملوك ولا تعنو لسلطان الدول ولكن الحقائق تُتّبع حيثما وُجدت ولا تكون تابعةً لاحد

اتقآء البرد

البرد في عُرف علمآء الطبيعة من العوامل التي لاحقيقة لها في نفسها وانما هو لفظةٌ اضافية يراد بها نقصان الحرارة لما أن من طبيعتها الانتشار والشيوع وطلب التساوي. فاذا مسّت اليد قطعةً من الثلج شعرت منها ببرد لان الثلج يتشرب من حرارة اليد اكثر مما تتشرب اليد من حرارة الثلج. وللسبب عينهِ اذا وُضعت هذه القطعة بجانب ميزانٍ قد انحطّت درجتهُ عن درجتها صعد الزئبق فيهِ للحال فاحدث الثلج هناك ارتفاعاً في الحرارة